

الواقع الفلسفـي: تنوعٌ نهضوي.. وتحديات.

لم يعد الحديث عن بعد الانطولوجي البحث الذي يشكل موضوعاً للفلسفة **المجـة** مستساغاً اليوم كما كان بالأمس، ويبدو أن مثل هذا الكلام على اطلاقه قد فقد من قيمته العلمية، فإذا أمكن لنا أن نتشبث بموضوعية الوجود للفلسفة الإسلامية لنكرّس بذلك واقعاً لا يمكن انكاره لغير السوفسـطائي، إلا أننا نكون قد خلطنا الأوراق، أو اختلطت علينا، حين نوصـف الفلـسفة بالصـبغـة الـاسـلامـية تمـيـزاً لها عن الفلـسـفة المـطلـقة. فـلـم يكن مـقصـودـ الفـلاـسـفة الـاسـلامـيين من تـعبـيرـ «الـفلـسـفة الـاسـلامـية» هو إـفـرـادـها كـحـقـلـ اـخـتـصـاصـ فيـ نـطـاقـ الفلـسـفة الـمـطلـقةـ، لـكـيـ يـنـعـيـ عـلـيـهاـ الـيـوـمـ بـعـدـ جـدـوـيـ مـوـضـعـةـ الـوـجـودـ كـأـسـاسـ تـرـتكـزـ إـلـيـهـ الفلـسـفةـ عـلـىـ اـطـلـاقـهـاـ. وـبـذـلـكـ تـكـونـ الـعـلـمـيـةـ أـشـبـهـ بـمـنـ يـسـحبـ الـبـسـاطـ منـ تـحـتـ الـأـقـدـامـ.

وإنما كان الهدف من التوصيف هوشيء آخر، من قبيل الاشارة إلى المبت والمنشأ مثلاً، من دون أن يفقدـها ذلك من عموميتها. إلا أن الحكم على الفلـسـفةـ، - أيـاـ تـكـنـ، لمـ يـعـدـ حـكـراـ عـلـىـ أـهـلـهـاـ، بلـ هوـقـ مشـاعـ طـالـماـ أنـ إـطـلـاقـ الـأـحـكـامـ بـاتـ يـنـدـرـجـ فيـ نـطـاقـ المـارـسـةـ الفلـسـفيـةـ نـفـسـهاـ، وـمـنـ هـنـاـ يـنـظـرـ الـيـوـمـ إـلـىـ الـفـلـسـفةـ "الـاسـلامـيـةـ" عـلـىـ أـنـهـاـ أـشـبـهـ ماـ تـكـونـ بـالـفـلـسـفةـ المـضـافـةـ الـتـيـ تـمـارـسـ نـشـاطـهـاـ ضـمـنـ حـقـلـ مـعـرـفـيـ خـاصـ هـوـ الـوـجـودـ.

وقد واجـهـتـ الفلـسـفةـ الـاسـلامـيـةـ تحـديـاتـ منـ نوعـ مـخـلـفـ، استـهـدـفـ هـويـتهاـ فيـ الصـمـيمـ، وـرـدـتـ بـجـمـلـتهاـ إـلـىـ أـصـولـ غـرـيـبـةـ عـنـهاـ؛ فـلـيـسـ للـعـقـلـ الـعـرـبـيـ أـنـ يـنـظـرـ إـلـىـ الـأـشـيـاءـ نـظـرةـ شـامـلـةـ، وـمـاـ قـامـ بـهـ ماـ هـوـسـوىـ اـسـتـسـاخـ مـطـابـقـ لـلـأـصـلـ الـفـلـسـفـيـ الـيـونـانـيـ. وـفـيـ اـفـضـلـ الـحـالـاتـ، فـإـنـ الـاعـتـرـافـ بـوـجـودـ فـلـسـفةـ اـسـلـامـيـةـ لـمـ يـعـدـ يـجـدـيـ نـفـعاـ،

سيما بعدها أصيّب العقل بسهام النقد الحديث، فانهارت بذلك أسس البنيان الذي قامت عليه هذه الفلسفه، وقد المنطق الأرسطوي مبرراته العقلانية.

وَثِمَةً تَحْدُّ آخِرَ، تمثِّلُ بِالْتَّدَافُلِ الْحَاكِلِ بَيْنَ الْفَلْسُوفَةِ وَالْدِينِ، وَقَدْ اُعْتَدَرَ خَلَالَ فَلْسُوفِيَا مِنْ قَبْلِ الْبَعْضِ، بَيْنَمَا اُعْتَدَرَهُ آخِرُونَ إِبْدَاعًا. هَذَا التَّدَافُلُ سَاعَدَ عَلَى بُرُوزِ اِتِّجَاهَاتٍ تَدْعُوا إِلَى الْبَحْثِ عَنِ الْعِقْلَانِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي عِلْمِ الْكَلَامِ وَالْتَّصُوفِ وَأَصْوَلِ الْفَقْهِ.

وَسَوَاءَ اعْتَرَفَنَا بِهَذِهِ التَّحْدِيدَاتِ أَمْ لَمْ نُعْتَرِفْ، فَثِمَةً تَسْأَلَاتٍ مَلْحَّةً لَا تَهْدَأُ تُحْثَثُ الْعِقْلُ الْعَرَبِيُّ الْإِسْلَامِيُّ عَلَى الْبَحْثِ عَنِ الْهُوَى الْحَضَارِيَّةِ، وَذَلِكَ عَبْرَ التَّمْحُورِ حَوْلَ الذَّاتِ، أَوْ مِنْ خَلَالِ الْإِنْدَمَاجِ فِي الْإِطَّارِ الْفَكْرِيِّ الْعَامِ لِمَا يُسَمِّي عَوْلَةً.

وَقَدْ بَرَزَتْ اِتِّجَاهَاتٌ عَدِيدَةٌ بِلْغَتِ حَدَّ التَّضْلِيلِ فِي الْحَصْرِ وَالْتَّصْنِيفِ، سَعَتْ إِلَى تَوْظِيفِ إِمْكَانِيَّاتِهَا فِي مَجَالِ النَّهْوَضِ الْعَرَبِيِّ وَالْإِسْلَامِيِّ. كَتَبَ لِبَعْضُهَا عَلَى الْأَقْلِ أَنْ تَوْفِقَ لِلْدُخُولِ فِي دَائِرَةِ الْإِهْتِمَامِ الْفَلْسُوفِيِّ وَلِوْجِزِيَّاهَا، بَيْنَمَا ظَلَّ أَغْلِبُهَا رَاكِدًا فِي ظَلْمَةِ الْأَدْرَاجِ يَنْتَظِرُ نَصِيبَهُ مِنَ الْإِهْتِمَامِ، وَدُورِهِ فِي الْخَرُوجِ إِلَى دَائِرَةِ النُّورِ. هَذِهِ الْجَهُودُ تَشَكَّلُ بَعْدَ ذَاتِهَا نَشَاطًا فَلْسُوفِيًّا مَعَاصِرًا يَسْتَحْقُّ الْدِرَاسَةَ، فَالْحَدِيثُ عَنِ تَارِيخِ الْفَلْسُوفَةِ وَمَنْشَئِهَا وَأَدْوَاتِهَا وَمَنَاهِجُهَا.. هُوَ حَدِيثُ عَنِ الْفَلْسُوفَةِ نَفْسِهَا، وَالْفَلْسُوفَةُ الْيَوْمُ تَتَنَفَّسُ فِي فَضَاءِ رَحْبٍ يَطَالُ كَافِّ أَبْعَادَ الْحَيَاةِ الْ ثَقَافِيَّةِ، وَلَا تَكْفِيُ الْفَلْسُوفَةُ إِلَّا حِينَ نَكْفُّ عَنِ التَّسْأُلِ وَالْتَّفْكِيرِ.

إِذْنَ، يَتَبَدَّى لَنَا يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ أَنَّ الْفَلْسُوفَةَ قَدْ اتَّخَذَتْ فِي سِيرِهَا مَنْحَى بَعِيدًاً، - أَهْلَهَا إِلَى مَعاوِدةِ مَمارِسَةِ نَفْسِ الدُّورِ الَّذِي لَعِبَتْهُ قَدِيمًا بِصَفَّتِهَا فَعْلًا نَفْسِيًّا عَبْرَ عَنْهُ بِالْدَّهْشَةِ. فَالْفِيلِسُوفُ لَمْ تَعُدْ مَهْمَتَهُ بِنَاءً مَنْظُومَةً فَلْسُوفِيَّةً مَتَّمَاسِكَةً بِالْحُضُورِ، كَمَا يَنْبَئُنَا التَّعْرِيفُ الْكَلاسِيَّكِيُّ التَّقْلِيدِيُّ الَّذِي أَلْفَنَاهُ عَلَى مَقَاعِدِ الْدِرَاسَةِ، بَلْ هُوَ مَنْ يَثْبِرُ الْأَسْئَلَةَ، وَيَنْاقِشُ، وَيَنْتَقِدُ، وَيَحَاوِرُ، وَيَحْلِلُ، وَيَسْعَى إِلَى إِبْرَازِ حلُولِ لِقَضَائِيَا عَصْرِهِ، وَهِيَ قَضَائِيَا بَتَّا نَصَنَّفَهَا فِي نَطَاقِ الْعِلُومِ الْإِنْسَانِيَّةِ، كَالْجَمَعَ وَالْسِّيَاسَةِ وَالْإِقْتَصَادِ.. وَالْفِيلِسُوفُ هُوَ مَنْ يَعِيشُ هَمُومَ الْأَمَّةِ، وَيَحْلِلُ أَسْبَابَ تَخْلُّفِهَا، وَيَسْعَى لِلْخَرُوجِ مِنْ مَأْزَقِ

وأقعنها الراهن عن طريق إعادة النظر في اسلوب تفكيره، ولغة عقله، ومركوزاته عقيدته. وهو مكلف بالبحث عن نمط التآلف مع مجلوبات أهل عصره، عبر تنشيط الهوية والخصوصية في الإنتماء، أو التنفس في فضاء الفكر كحق مشاع لا يقتصر على قوم بعينهم.

من هنا، تحضن المحجة في عددها الراهن، وبروح من حرية الفكر والمعتقد الممزوج بإحساس المسؤولية، مجموعة من الموضوعات الحية، والأفكار التي يعيق بها فضاؤنا الفلسفي، شيئاً أم شيئاً، تاركة للفكرة أن تعبّر عن رأي أصحابها ومبدعها، لتفسح عبر صفحاتها متسعًا لتفاعل الفكر، وتلاقي الآراء، قبل أن تهبّ علينا رياح الإستشراق والاستغراب عاصفةً بكل وجودنا وكياننا المتبقى لنا.

فيقصد هذا العدد بعضاً من الارهاسات الأولى التي عبرت عن طموح نهضوي مبكر في فكرنا المعاصر من خلال ما أثارته من أسئلة ترتبط بأصل وجود الفلسفة الإسلامية، وتعالج هذه الاشكالية بالرجوع إلى نفس البنية الفلسفية، وعلى ضوء المناهج الحديثة والاساليب العصرية. ويلقي مزيداً من الضوء على طموحات أخرى ليست عديمة الصلة ببعضها البعض. وهي محاولات قد تختلف في كيفية تناول الطرح وتفاصيل الحلول المقترحة، إلا أنها تلتقي على قاسم مشترك هو ما تحمله من معاناة التأزم الحضاري، وطموح النهوض؛

- فهل من الحق أن ننفض أيدينا من كل ما احتواه تراث الأسلام، - كشرط للنهوض .. ولا نعرف للجهود الكبيرة التي قام بها رجال أمثال ابن سينا والفارابي .. لأنها ذات صبغة فلسفية؟!

- هل من المقبول أن نحصر قنوات العبور، - من الواقع الذي نعيش والذي يحول دون التفلسف الحر، إلى قيام فكر فلسطي حر -، بالالتحاق بركب العولمة والتخلّي عن البرجمائية الثقافية وأوهام الهوية؟!

- هل من الصحيح أن نقفز دفعة واحدة فوق الجهد الفلسفـي الذي اختبره المسلمين عبر تاريخهم الطويل، للادعاء بأن الفلسفة الإسلامية لم تولد بعد، ونجعل إلى الجهد

المبذولة حالياً والتي تتركز على انتاج علم كلام جديد، مهمته انتاج وتوليد فلسفة اسلامية في المستقبل؟!

- هل يتحتم علينا منذ البداية، أن نعترف بوجود هوة سحيقة بين مغرب ابن رشد، بماضيه وحاضره، وشرق صدر الدين الشيرازي بكلّفة قراءاته، لنتلمس خطوط النهوض باعتماد منحى أحادي، يرفض الملاعنة والمواءمة بين المشربين، كشرط أساسى لتجنب السقوط؟

تهدف المحجة من خلال هذه المسائلة إلى قرع بعض ابواب الحاضر الثقافي الحي، وتسعى بذلك لاسعاف القارئ المثقف بكل ما يدور في أفق العقل الاسلامي العربي من قضايا فكرية معاصرة، راجية أن تكون قد أرّخت للفكرة وواقعها، بما يتاسب مع طموح قرائتها الأعزاء.

❖ وهنا كلمة لابد منها، وهي أننا كنا قد وعدنا القارئ الكريم بأن يكون موعده في هذا العدد مع فلسفة الإيمان... إلا أننا علمنا بقدوم الدكتور حسن حنفي إلى لبنان مع مجموعة من نخبة المفكرين وال فلاسفة العرب لعقد لقاء يتناولون فيه التجربة الفكرية والفلسفية للدكتور المكرم حسن حنفي دعانا لأن نخرج عدداً خاصاً حول واقع الدراسات والاتجاهات الفلسفية في العالم العربي، ونقدمه على الملف الآنف الذكر؛ إسهاماً متيناً في التعبير عن اعجابنا، وتقديرنا للدور الريادي لمفكرنا الكبير الذي نتمنى له ازدهاراً في النتاج ودوااماً في التوفيق.